الباب الرابع

التأسيس الحِكَمي للحريات في الإسلام

الفصل التمهيدي: التأسيس الحِكَمي للحريات ونقض العبودية الباطلة

الفصل الأول: التأسيس الحِكَمي لحرية الرأي الشخصي

الفصل الثاني: التأسيس الحِكَمي لحرية الرأي الاجتماعي

الفصل الثالث: التأسيس الحِكَمي لحرية الرأي السياسي

التأسيس الحِكَمي للحريات ونقض العبودية الباطلة

التأسيس الحِكَمي يقوم على أداة النهي «لا»، وقد تبين في المناهج المعرفية القرآنية أن القرآن الكريم يقدم المنهج المعرفي البياني قبل المنهج المعرفي الحِكَمي، أي يقدم إثبات الحق على نفي الباطل، ويوفر الحلال في كل شيء ويؤمنه قبل أن ينهى عن الحرام ويزجر أهله، وهو ما تبين في الباب السابق، ولكن الدنيا لا تخلو من الأشرار والمفسدين والطغاة، الذين يعيثون في الأرض الفساد، ولذا كان لا بد من حماية الناس من شرور أنفسهم وبالأخص من شرور المترفين والمتكبرين والمفسدين منهم، ومع هؤلاء المفسدين في الأرض لا بد من الخطاب الزاجر، ولا بد من المنهج المعرفي الحكمي الذي يحمي الناس من شرور المجرمين.

لذا نجد في العديد من الآيات والسور القرآنية تركيزاً على نفي الباطل، وكشف الكذب، وإبعاد الزيف، ومنع الفساد، وهذا ما يقصد بالمنهج المعرفي الحِكَمي في القرآن الكريم، فهو من الحكمة أي المنع، وقد بين أهل اللغة أن أصله من الحِكَمة، أي قطعة الحديد التي توضع في فم الحصان فيلجم بها [1]، فإذا كان ذلك كذلك فإن أحق ما يقدمه الإنسان لنفسه هو إبعادها عن الضرر والشرور والمفاسد، وهو ما دعا إليه القرآن الكريم بالمنهج المعرفي المصالحي، وأن لا يضع الإنسان نفسه في المهانة والضعف والذلة، التي تستدعي من الآخرين تقويمه، سواء كانوا آباءً أو معلمين أو أولي أمر اجتماعيين أو سياسيين.

إن السبب الحقيقي وراء تشريع أداة النهي «لا» في التشريع الديني والقانون المدني هو موقف إبليس من خلافة آدم، أي موقف إبليس من حرية آدم، فالخلافة حرية وتجديد كما سبق بيانه، وإبليس فسق عن أمر ربه أولاً، وحسد آدم من خلقه ثانياً، قال الله تعالى في

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص 277.

سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) ﴾.

لقد حسد إبليس آدم على سجود الملائكة له بأمر الله وعلمه، فكان الموقف العدواني لإبليس ضد آدم هو السبب الأول في وقوع آدم في المعصية، ولذا كان لا بد من تحذير آدم وبنيه من عدوهم الأول وهو الشيطان الرجيم، ولولا وجود الشيطان وعداوته للإنسان، لكان الإنسان أكثر أماناً على نفسه ومجتمعه ودولته، ولكان بعقله وحنكته قادراً على تمييز الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، والعمل بمقتضاها ودون تعمد مخالفتها، ولكن الشيطان أخذ على نفسه إغواء الإنسان وتزيين الفواحش والقول على الله بغير علم.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية إذ تبين هذه القضية الأساسية في حياة الإنسان والناس، فإنما تهدف إلى حماية الإنسان من الشيطان وشروره ومفاسده، ولما لها من أهمية كبرى في تقويم حياة الإنسان وحتى لا يضل ولا يشقى، فإذا كانت خلافة آدم وحريته وتجدده وسجود الملائكة له سبب هلاك إبليس وخروجه من زمرة الملائكة والجنة، فالأحرى أن تكون حرية آدم وسجود الملائكة له سبب نجاة الإنسان وسعادته ومرضاة ربه، ولذا ترتبط العبودية الباطلة في علاقة طردية مع الظلم والإفساد والاستبداد، وأنه كلما كان الإنسان حراً في رأيه كان أكثر عبودية لله تبارك وتعالى بصدق وأمان.

إن كل عبودية لغير الله هي عبودية باطلة وظالمة للإنسان ومنتهكة لحقوقه وحرية الرأي والعقل والتفكير السليم، فليس هدف الإسلام من التركيز على المنهج المعرفي الحِكَمي هو التحكم بالإنسان ولا مخالفة رأيه وعقله وتفكيره، ولا تقييد حريته بالمحرمات والنواهي والزواجر، وإنما حمايته من جهله والجهلاء من قومه، مصداقاً لقول الله تعالى في سورة هود:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ
صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ
﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي
بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن
لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾.

في هذا الآيات الكريمة يظهر المنهج المعرفي الاعتباري، ليكشف عن ضلال أقوام سابقة، لم تنتفع بالبينة وادعت عدم فهم قول الرسول، أي أنكرت الرأي الحر، بالرغم من أن نبي الله شعيب يقول لهم: **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ، أي إنّه** لا يهدف إلى مخالفة قومه لمجرد المخالفة وإنما إصلاحهم، وهذا الموقف الرافض لحرية الرأي من مدين قوم شعيب مؤسس على عبودية باطلة، وهذا دليل على أن كل عبودية باطلة هي معارضة للرأي الحر حتماً، وخاسرة لنفسها في الدنيا والآخرة.

وحيثما يقدم الإسلام المنهج المعرفي الحكمي على المنهج المعرفي البياني، فإن هناك حاجة معرفية توجب ذلك، ومثال ذلك في سورة النجم المكية، قال تعالى: ﴿**وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾**﴾، فقد بدأت السورة الكريمة بنفي الضلال والغوى عن النبي عليه الصلاة والسلام، ونفت عنه أن يكون صاحب هوى فيما يأتي به من علم جديد، ثم بينت السورة بعد ذلك مصدر هذا العلم، فقالت: إنه وحي يوحى به من الله تبارك وتعالى، وانه من تعليم ملك كريم شديد القوى، أي إنَّ القرآن الكريم في سورة النجم قدم المنهج الحِكَمي على المنهج البياني، وكلاهما منهجان معرفيّان صادقان، لأن أهل مكة اتهموا الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنون والضلال كذباً وزوراً.

ومعلوم أن الآية الأكبر في شهادة الحق بدأت بأداة النفي «لا»، فقال تعالى: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾[1]، وأن الآية الأهم في تأكيد حرية الدين قد بدأت بأداة النفي «لا» أيضاً، وهي قوله الله تبارك

---

(1) سورة: آل عمران، الآية رقم (18).

وتعـــالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[1].

فالآية الأهم في تقرير الحرية الدينية قد ثبتت بالمنهج المعرفي الحِكَمي فبدأت بالنفي قبل الإثبات، أي بالتأسيس السلبي قبل التأسيس الإيجابي، ودواعي ذلك أن الإنـسان إذا صرف عن الغواية، فهو أقرب إلى الاهتداء إلى الحق بنفسه، ومصدر الغواية هـو الـشيطان الرجيم كما توعد هو بنفسه: **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**، وأكبر غوايـة يتعرض لها الإنسان والناس هي صرفهـم عـن العبوديـة الـصادقة لله تعـالى إلى العبوديـة الباطلة، وصرفهم عن الحرية العالمة إلى الحرية الكاذبة، والعبودية الباطلة تـصرف النـاس عن عبادة الله سبحانه وتعالى إلى عبادة الآلهة الوهمية من كواكب وحجـارة ودواب بـشرية وحيوانية وغيرها، وهذه الآلهة الوهمية أدوات تجارية بيد المتكبرين والمترفين والمفسدين في الأرض، وكل طاعة للشيطان هي عبادة له وانتهـاك لحريـة الإنـسان، وبـالأخص لحريـة الرأي، **لأن حرية الرأي هي رأي حر**، أي رأي وتفكير عادل وخير وشريـف وصحيح، كما هو معنى الرأي في اللغة العربية والسنة النبوية، وكما هو معنى كلمة الحرية في اللغة العربية أيضاً.

ولذا استعمل القرآن الكريم المنهج المعرفي الحِكَمي في مجال العبادة كثيراً، لأنه جاء في النهي عن العبادات الباطلة أكثر من أمره بالعبادة الحقـة، كـما في قولـه تعـالى في سـورة الكـــافرون: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾، في هذه السورة الكريمة تأكيد على تقديم المنهج الحِكَمي بنفي كل عبادة باطلة، قبل إثبات العبادة المستقيمة، وهي من أوائل سور القرآن الكريم نزولاً.

وقد تنوع خطاب المنهج المعرفي الحِكَمي في معالجة آثار العبوديـة الباطلـة وانتهـاك حقوق الإنسان بحسب مجالات حياة الإنسان والناس، والتي صنفناها في ثلاثـة مجـالات هي المجال الفردي والمجال الاجتماعي والمجال السياسي، ففي كل واحد منها إمـا تكـريم للإنسان والناس وإما ظلم وفساد، يدعو إليه الأشرار والمترفون والمجرمون.

---

(1) سورة: البقرة، الآية رقم (256).

وفي السنة النبوية الشريفة تعريف للعبودية الباطلة وأنها مناقضة لحرية الإنسان، فقد أخرج البخاري في صحيحه قال: (حدثنا يحيى بن يوسف: أخبرنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض).

لم يرفعه إسرائيل، عن أبي حصين.

ـ وزادنا عمرو قال: أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع).

قال أبو عبد الله: لم يرفعه إسرائيل، ومحمد بن جحادة، عن أبي حصين.

وقال: {تعساً} كأنه يقول: فأتعسهم الله. {طوبى} فعلى من كل شيء طيب، وهي ياء حولت إلى الواو، وهي من يطيب)[1].

قال الإمام ابن حجر: (عبد الدينار: أي طالبه الحريص على جمعه، القائم على حفظه، فكأنه لذلك خادمه وعبده، قال الطيبي: خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خلاصاً)[2].

---

(1) الجامع الصحيح، الإمام البخاري، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو، رقم (2886).

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لإمام ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، رقم (6435)، ج 11/ ص 254.

الفصل الأول

التأسيس الحكمي لحرية الرأي الفردية

يقوم التأسيس الحكمي لحرية الرأي الفردية على امتلاك الإنسان القدرة المعرفية والعلمية بما يضره وينفعه، وبما يعود عليه بالشر أو الخير، أي بما في عقله من معان عن المصالح والخسائر الدنيوية والأخروية معاً، والإسلام حرص على بيان الحكمة للناس كافة، وتعليمها بصورة أخص للمسلمين والمؤمنين كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[1].

كان تعليم الحكمة لأفراد المؤمنين في السور المكية في سور عديدة منها سورة لقمان وهو يعظ ابنه قال: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾.

هذه الآيات الكريمة تقوم على المنهج المعرفي الاعتباري، أي على بيان ما في قصة لقمان من علم وحكمة، والعلم ما فيه طلب الفعل، مثل توصية الإنسان بوالديه، والحكمة تعليم الإنسان ما فيه طلب النهي، مثل النهي عن الشرك، وعدم طاعة الوالدين في

---

(1) سورة: آل عمران، الآية رقم (164).

المعصية، وعدم تصعير الوجه، وعدم المشي في الأرض مرحاً، فالمنهج القصصي الاعتباري تضمن المنهج البياني التعليمي والمنهج المعرفي الحِكَمي.

في هذا المنهج الاعتباري نص على حرية الرأي بقوله: وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، والأمر بالمعروف استعمال لحرية الرأي في بيان الحق، والنهي عن المنكر استعمال لحرية الرأي في بيان المنكر ومفاسده، ومن آداب ذلك أن يكون بصوت معتدل مسموع ومفهوم، وليس بالصراخ والتهويل والصياح والعويل فقال: وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، أي إنَّ لحرية الرأي آداباً من أهمها الصوت الحسن، والصوت الإنساني وليس الصوت الحيواني الحماري، ومن آداب حرية الرأي الصبر على النفس وعلى الآخرين فقال: وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ.

ومعاني قصة لقمان مع ابنه تأكدت في آيات كثيرة منها قول الله تعالى في سورة يس: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾، فقد بدأ المولى عز وجل بالنهي عن عبادة الشيطان قبل المطالبة بعبادة الله سبحانه وتعالى، واتِّباع صراطه المستقيم، وقول الله تعالى في سورة مريم:

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾.

أي إنَّ توجه القرآن الكريم في آياته وسوره المكية الأولى كان إلى بناء شخصية الإنسان المعرفي الذي يعقل ويفكر ليصل به إلى الإنسان المؤمن، ووصف بالمؤمن لأنه الإنسان المصدق بالعلم والمطمئن به والعامل بمقتضاه، فهو على شريعة فردية ومنهج عملي وخلق حسن، أو في مصطلح العصر بناء الإنسان المثقف والملتزم بالقانون بحرية وقناعة تامة منه، كل ذلك من أجل أن يكون الفرد المسلم لبنة قوية في بناء المجتمع المسلم، ومشاركاً في تكوين شخصية الجماعة المسلمة المؤمنة، وبحيث تكون كل تربية أو تنمية للفرد ثقافياً جزءاً من عملية تربوية أو تنموية اجتماعية ثقافية موسعة، فلن تخلو عبودية باطلة من إهدار لحق إنساني إطلاقاً، وبالأخص إهدار حرية الرأي.

حرية الرأي الفردية هي القاعدة التي انطلق منها الأنبياء والرسل جميعاً، فلم يبعث الله تبارك وتعالى نبياً ولا رسولاً إلا وكان رجلاً بشراً واحداً، وكان يستمد حقه في بلاغه لهم على حرية الرأي التي يتمتع بها كل إنسان بغض النظر عن قيم المجتمع الذي أرسل إليه أو أخلاق القوم الذين خاطبهم، ولم يكن الاعتراض على الأنبياء بسبب انعدام حرية الرأي وإنما بسبب ما كان يدعوهم إليه من قيم وأخلاق، وبسبب مخالفته لما ألفوه ووجدوا عليه آباءهم من قبل من قيم مخالفة للعقل.

الإسلام يحافظ على حرية الإنسان الفردية في المجتمع الذي ينتمي إليه، سواء كان الإنسان مسلماً أو غير مسلم، ويمنع قمع حريته حتى لو كان سلب حريته من أولياء أموره الاجتماعيين، كما سبق بيانه من سورة لقمان المكية في حق الآباء: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ..(١٥) ﴾.

ولم يتوقف قول الحقيقة ودعوة الناس إلى الخير على أفراد الأنبياء فقط، فقد أعطى القرآن الكريم أمثلة على رجال تدخلوا في قول الحق والتعبير عن آرائهم بحرية وهم أفراد أمام قومهم في أصعب المواقف وأحرجها لما فيه صلاحهم ونصحهم، كما في قوله تعالى من سورة يس:

﴿ اتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾.

في هذه القصة القرآنية الكريمة، قصة رجل عاقل عبر عن رأيه بحرية فيما يقع به قومه من ضلال وظلم اتجاه الرسل، وبين صواب موقف الرسل وخطأ موقف قومه بالقول فقط، أي بواسطة حرية الرأي، وليس بالشتم والسباب ولا استعمال العنف ولا القوة، وجاء التعبير عن الموقف الفردي مكرراً لأهميته، فكل آية من قصته تتحدث عن الصفة الفردية وتعبر عن الضمائر والمعاني الفردية، دلالة على أهمية رأي الفرد العاقل في نصح قومه بالرأي الصحيح والقول السديد.

وفي القرآن الكريم كله يأتي الاعتراض على رأي الفرد من القوم الكافرين، أي من القوى الاجتماعية الظالمة، أي القوم الذين يجحدون الحق وينكرون العلم، فمعنى الكفر في

القرآن الكريم هو المعنى اللغوي الذي يغطي الحق ولا يظهره بل يبعده، دون أن يتفكروا في صحة ما يقول، ومن قبل أن يتدبروا رأيه وما فيه من حق مبين، وحجتهم هي التراثية المريضة بتمسكهم بما كان يعبد آباءهم، ووصم العلم الحق بالإفك المفترى والسحر المبين كذباً وظلماً، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣) ﴾[1].

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) ﴾.

فهذه دعوة الأنبياء تقوم على الفردية وأساسها حرية الرأي، التي عبر عنها القرآن الكريم بكلمة «قال» وهو يخاطب قومه، فقول النبي تعبير عن حرية الرأي، والقول أفضل من الرأي لأن القول كلام موجه بمعان ومقاصد، فقد كان النبي يبدأ قومه بالقول ثم يتبع قوله بالبينة أي معجزتها إذا كذبه قومه، والبينة آيات حسية أو عقلية أو كلامية من عند الله تبارك وتعالى، وهي التي وصفها العلماء بالمعجزات النبوية.

وفي الرسالة الخاتمة حصر البيان أي الإعجاز بالقول والبيان، فأمر القرآن الكريم النبي عليه الصلاة والسلام أن يخاطب قومه بهذه الآلية وبهذه المنهجية المعرفية فقال الله

(1) سورة: سبأ، الآية رقم (43).

تعـــالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]، فمعنى قل: أي عبر عن رأيك في هـذه المسألة الأساسية في حياة الناس، ماذا تعبد، وابدأ بالمنهج المعرفي الحكمـي، أي ابـدأ بنفـي صحة ما يعبدون من دون الله، ثم أعلمهم ما تعبده أنت، وأنك أول المـؤمنين بـه، أي أول من اتبع العلم وصدقه وعمل بمقتضاه.

(1) سورة: يونس، الآية رقم (104).

الفصل الثاني

التأسيس الحِكمي لحرية الرأي الاجتماعي

يقوم التأسيس الحكمي لحرية الرأي الاجتماعي على إغلاق كل أبواب الفساد في المجتمع مهما كان مصدرها، حتى لو كانت من الأب لابنه، أو من الابن لأبيه، فقد أنكر القرآن الكريم على كل العادات الاجتماعية الجاهلية الجاهلة [1]، فأنكر على الإنسان الذي يتنازل عن حريته للولاية الاجتماعية الآبائية غير العقلانية فقال تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ
ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ
ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ
ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾
وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾
وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ
مُّبِينٌ ﴾[2].

فهذه الآيات الكريمة جاءت بالمنهج المعرفي الاعتباري القصصي وهي تقرر قضية أساسية، هي استقلال شخصية الإنسان الفردية أمام الضغوط الاجتماعية، وجاء القرآن الكريم بالعلاج الذي يفكك الروابط الاجتماعية المعطلة للحرية، وجعل الحكم بين الأبناء والآباء في قضية الحرية أو تقرير المصير أو معرفة ما يتبعون هو للعقل أولاً وللهداية ثانياً، كما جاءت في ترتيب الآية، أي للرأي الدنيوي ثم للرأي الديني كما وصفت في السنة

---

(1) انظر: مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، الإمام محمد بن عبدالوهاب، القاهرة، نشرها قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الرابع 1398هـ، ص 11.

(2) سورة: الزخرف.

النبوية المطهرة، وذلك حتى يكـون التكـوين الاجتماعـي القـويم مرتهنـاً بنجـاح المرحلـة الابتدائية في تكوين الحرية في الحياة الفردية للإنسان، فلا يمكن بناء الحرية الاجتماعية قبل بناء الحرية الفردية، وهذا ما سعت الآيات الكريمة إلى تحقيقه.

فلئن كان العدو الأول للإنسان بالصفة الفردية هو الشيطان الـرجيم، مـصداقاً لقـول الله تعالى في سورة الحشر: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فإن العدو الأكبر للمجتمع هي الفئات المتكبرة والمترفة والتي تسعى لجعل المجتمع ومن فيـه سوقاً تجارية لها، ولذا فهي لا تعبأ بما تحدثه من فساد وانتهاك لحقوق الناس، طالما هي لا تفكر إلا بمصالحها وكذبها على مجتمعها بكل الوسائل والطرق.

إن الإسلام أقام المجتمع الإنساني على قيم التراحم والإحسان والأخوة والتعاون وعدم الاعتداء، فقال تعالى في سورة الأنعام المكية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾، وحذر الناس من الخسران الدنيوي الأخروي فقال تعالى في سورة العصر المكية: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات هم المجتمع المسلم المؤمن في مصطلح القرآن الكريم.

وقد ذكرنا من قبل أن المـنهج المعـرفي الحكمـي ورد في سـورة الإسراء، إذ في هـذه السورة الكريمة تم تعريف الحكمة بالمعنى الإسلامي، فقال تعالى في سورة الإسراء المكية:

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ
إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً
وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ
سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ
يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ
ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ
أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ
طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا
تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

في هذه الآيات الكريمة يعدد القرآن الكريم الكثير من المنهيات، التـي تـسبقها أداة النهي اللغوية «لا»، فكانت في هذه الآيات أكثر مما أمر به إيجاباً، ثـم أعقبهـا قولـه تعـالى: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾، فهذه المنهيات كلها سيئة ومكروهة، وجـاء لفـظ الوصف بالسوء والكراهة وليس التحريم والعقوبـة لأن هـذه الآيـات مكيـة، بحكـم أن تاريخ نزول سورة الإسراء مكي، فأرادها الله الحكيم العليم أن تكون أحكامـاً يلتـزم بهـا المؤمن طواعية وهو في مكة دون أن يخشى عقوبة أو يرهب من حد.

والتزام أفراد المسلمين والمؤمنين بهذه الآيات طواعية وعن قناعـة شخـصية يـؤمن للمجتمع المنشود أرضية بـشرية سـليمة، وشـباباً راشـدين طـاهرين، وفتيـات عـاقلات عفيفات، يختارون بإرادتهم الطهـارة وإذهـاب الـرجس عـن أنفسهن، لما فيـه حفظهـن كريمات، وحمايتهن من الآمرين بـالمنكر والمفـسدين في الأرض مـن الفـاجرين والمترفـين، فهذه الآيات الحكمية أساس بناء المجتمع الإسلامي المنشود، لأن أساسه الطهارة ومعياره الحكمة.

وقد أبان المنهج المعرفي الحكمي في هـذه الآيـات الكريمـة عـن ضـابط مهـم مـن ضوابط حرية الرأي، وهو عدم إبداء الرأي إلا بعد العلم به، أي التوثق منه، فقال تعـالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[1]،

(1) سورة: الإسراء، الآية رقم (36).

فإبداء الرأي ينبغي أن يقوم على العلم المبني على السمع والبصر والفؤاد، أي على المعلومات الصحيحة، أو المشاهدات الموثقة، أو الاستدلال العقلي الصحيح، وليس على الظن والشك والتكهن، لأن إبداء الرأي مسؤولية دنيوية وأخروية، سواء كان الرأي دنيوياً أو دينياً كما بينته السنة النبوية، وعلى كل الأحوال فإن الآية إذ تطالب بالضابط فإنها تشرع لحرية الرأي بالدلالة العقلية، فوضع الضابط أو الشرط على حرية الرأي دليل على وجوده وشرعيته، أو على وجوبه وقانونيته.

والقرآن الكريم يحذر بالمنهج المعرفي المآلي من تخلي الناس عن حرية الرأي الاجتماعي، في حالة اتِّباع الناس لكبرائهم ومترفيهم والأغنياء الفاسدين منهم، فقال تعالى في سورة البقرة المدنية:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.

في هذه الآيات الكريمة بيان أن الشيطان ومن يمثله يستغل حرية الرأي في الإفساد، وذلك عن طريق الأمر بالمنكر: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾، فالأمر بالمنكر من حرية الرأي الباطل، والقول على الله بغير علم من حرية الرأي الكاذب، وهذا ما ينبغي على الناس أن يحذروه ويتجنبوه، بينما الأنبياء يخاطبون أقوامهم بالبينة، ويعلمونهم إياها، ويعرضونها عليهم، ولا يسألونهم عليها مالاً ولا أجراً، فإذا رفض القوم بينة ربهم وأعرضوا عن رحمته، وأنكروا نبوة بشر منهم، فليس من صلاحية النبي أن يلزم قومه بالبينة وهم لها كارهون.

أي إنَّ الأنبياء يحاورون قومهم بحرية صادقة، وقرار الإيمان أو الكفر من حق الناس، والله لم يهلك قوماً لأنهم لم يؤمنوا فقط، وإنما بسبب عدوانهم على الأنبياء والذين

آمنوا معهم، أي إنَّ العقوبة ليست على حرية الرأي، وإنما على العدوان على الأنبياء والذين معهم، وهو ما يوصف في القرآن الكريم بالكفر أو بالإجرام أو بالظلم، مصداقاً لقوله الله تعالى في سورة هود:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

وقبل أن نبين الأسس النبوية الحكمية التي أقام النبي عليه الصلاة والسلام عليها مجتمع المدينة المنورة نبين كيف أن المجتمع المدني في أصله قام على مخاطبة أهله على أساس حرية الرأي التي توحد المجتمع وتقوي أبناءه:

قال ابن إسحاق: (وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقب وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بن عبد الأشهل ودار بني ظفر وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر.

قال ابن هشام: واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس قالا على بئر يقال لها بئر مرق فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير لا أبا لك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا فإنه لولا أن أسعد ابن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً.

قال فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما فلما رآه أسعد ابن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: **إن يجلس أكلمه.**

قال فوقف عليهما متشتِّماً، فقال ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب: **أوتجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره.**

قال: **أنصفت**، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله، ثم قال: **ما أحسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين** ؟ قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين.

ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت، قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك.

قال: فقام سعد مغضباً مبادراً تخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة أما والله لو لا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني أتغشانا في دارنا بما نكره، وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير، أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان، قال فقال له مصعب: **أوتقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته وأن كرهته عزلنا عنك ما تكره** ؟ قال سعد: **أنصفت**، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: وكيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين.

قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً قالوا نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا **وأفضلنا رأياً** وأيمننا نقيبة، قال فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام **حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون**)[1].

هذه قصة إسلام أهل يثرب، لم يسلم أحد منهم كرهاً، بل بالحوار وحرية الرأي، حرية الرأي من الداعي والمدعو، حتى يكون إيمان الأفراد مكوناً للإيمان الكلي للمجتمع، فلا يكون لأحد عليه سلطان سوى سلطان العلم والإيمان وحرية الرأي، ومقاومة كل مفسد سواء طغاه منصبه أو ماله أو ترفه على التكبر والإفساد، وأكبر أمثلة المنهج المعرفي الاعتباري الحِكَمي في القرآن الكريم على ذلك هو قصة قارون، قال الله تعالى في سورة القصص:

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

هذا مثال قرآني على أحد المفسدين في الأرض بسبب فتنة المال، وأن الموقف الحق لم يتمكن منه إلا أولوا العلم، وأولئك هم أولو الإيمان الحق، والرأي الحر، الذين جهروا

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية 2 / 437.

بالرأي الحر قبل أن يخسف الله بقارون الأرض وتأكد لهم أن كثرة المال لا تغني من الحق شيئاً، بل قد تكون هي الفتنة الأكبر للناس الذين يعيشون حياتهم يتمنون مثل ما لقارون جهلاً وحسرة، والعاقبة للمتقين.

والمثال الآخر على أهمية قيم المجتمع الصادقة والحكيمة هي من السنة النبوية المطهرة، فلم يهاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلى يثرب قبل أن يوقع مع أهلها عقداً اجتماعياً يحفظ المجتمع من الفساد والمفسدين، ويحميه من الترف والمترفين، ولذا جعل رسول الله ﷺ هذا العقد الاجتماعي منصباً على طهارة المجتمع أولاً وقبل كل شيء، فجعل العقد قائماً على المنهج المعرفي الحكمي، علماً بان العقد الاجتماعي قد تم قبل العقد السياسي بسنة كاملة، وجاء فيه:

قال عبادة: (فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض الحرب:

- على أن لا نشرك بالله شيئاً.

- ولا نسرق.

- ولا نزني.

- ولا نقتل أولادنا.

- ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا.

- ولا نعصيه في معروف.

فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عزَّ وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر) [1].

هذه البنود كلها بنود اجتماعية حِكَمية، أي تطهر المجتمع المسلم من الظلم والفواحش والمفاسد، لتصنع المجتمع الطاهر والنظيف، وأهمها النهي عن الشرك بالله شيئاً، وبعد أن توثق هذا العقد الاجتماعي طلب أهل العقد من أهل يثرب أن يرسل النبي عليه الصلاة والسلام معهم من ينشر هذا العقد الاجتماعي ويؤكده بين عامة الناس، حتى لا يبقى عقداً مع قلة من المسلمين المؤمنين «ولما أنجزت بيعة العقبة الأولى، وعاد الأنصار إلى المدينة بعث رسول الله معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم

---

(1) سيرة ابن هشام، 2/ 433. والسيرة النبوية الصحيحة، الدكتور أكرم ضياء العمري، ج1/ ص 196، وقال: إسناده صحيح، فتح الباري لابن حجر 1/ 66، وصحيح مسلم 3/ 1333.

الإسلام ويفقههم في الدين، فقام بمهمته خير قيام وانتشر على يديه الإسلام، ورجع إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية»[1].

إن أهم ما تؤكد عليه هذه البيعة وهذا العقد أن هناك مرحلة أساسية في حياة البشر لا تستقيم الحياة الإنسانية بدونها، وهي أن الدعوة لا تتوقف عند حدود الأفراد بل لا بد أن تخاطب الجموع الفاعلة والمؤثرة وتجعلها مؤمنة بالحق ومتبعة للعلم والصراط المستقيم، وأن الفساد الحقيقي مصدره هم المستغلون للفساد والمشيعون له بشتى الصور الرخيصة، وبالأخص تجار الفواحش الجنسية، ما ظهر منها وما بطن، مصداقاً لقوله الله تعالى في سورة النور:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

فلم تواجه دعوة الأنبياء صعوبة أو عداوة فكرية من أفراد الناس إطلاقاً، وإنما عارضتها جماعات المصالح الذاتية ومن لها مآربها الخاصة، والذين وصفهم القرآن الكريم بالملأ والقوم وغيرها من الأوصاف الطبيعية، والذين كفروا والمجرمين والظالمين والمستكبرين والمترفين وغيرها من الأوصاف المعنوية السالبة، ودوافعهم هي الخوف على مصالحهم الخاصة، والاستكبار في الأرض، والترف في شهوات الدنيا ظلماً، والحسد من أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عبادِهِ، وغيرها، قال الله تعالى في سورة سبأ:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ

(1) السيرة النبوية لابن هشام، 2/ 434. والسيرة النبوية الصحيحة، للعمري، ج1/ ص 198.

ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا
رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا
وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ
ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ
مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

هذه الآيات الكريمة من سورة سبأ تتحدث بالمنهج المعرفي الاعتباري عن مواقف تكاد تكون مشتركة بين المفسدين في الأرض، ضد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن بعدهم ضد الذين يأمرون بالقسط من الناس، أي ضد أحرار الرأي، لأن المعاندة والاستكبار والكفر والتكذيب والظلم والأمر بالمنكر كان دائماً من فئات مترفة ضالة ظالمة مستكبرة، ولذلك عبر عنهم القرآن الكريم بصيغ الجمع اللغوية، ليعلم أن خلاص الناس ونجاتهم لا بد أن تواجه المترفين والمفسدين بالمنهج المعرفي الحكمي، حماية للناس والمجتمع منهم، فلا تكون نجاة أي مجتمع إلا بخلاصه من المترفين، أو على الأقل أن لا تكون لهم السيطرة على المجتمع وأهله، لأن هلاك أي مجتمع رهين بسيطرة المترفين فيه على مقاليد أموره، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[1].

(1) سورة: الإسراء، الآية رقم (16).

التأسيس الحكمي لحرية الرأي السياسي

لا تتوقف معارضة حرية الرأي الفردية على القوى الاجتماعية الظالمة، وإنما من القوى السياسة الظالمة أيضاً، وقد ضرب الله أمثلة من التأسيس الحِكَمي الذي يذم منع حرية الرأي في المستوى الاجتماعي، الذين أكثر القرآن الكريم في وصفهم بالمترفين كما سبق بيانه، وكذلك جاء الذم لمن يمنعون حرية الرأي من الزعماء والملوك المتجبرين في الأرض، والذين أكثر القرآن من وصفهم بالطغيان، كما في قوله تعالى:

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

في هذه الآيات الكريمة وصف العليم الحكيم علو فرعون بالطغيان، وبالرغم من أن الله أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أنْ يخاطب فرعون معرفياً وعقلياً وبالرأي الحر، فبدأ موسى عليه السلام بمنهج التزكية وهو منهج معرفي كما سبق بيانه، فقال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾[2]، أي استعمل موسى عليه السلام حرية الرأي واستعمل المنهج المعرفي الأخلاقي، وهو منهج التزكية، واستعمل المنهج المعرفي البياني، فقال: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾، واستعمل المنهج المعرفي البرهاني العقلي: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾، إلا أن جواب فرعون كان التكذيب والعصيان، بل وادِّعاءَ الربوبية، وهذا هو الطغيان، فأهلكه الله وجعله عبرة لكل طاغية متكبر جبار.

أولئك الطغاة هم أكثر المجرمين محاربة لحرية الرأي، ولو كان في أمر فكري عقدي خاص، كما في قول الله تعالى في سورة البروج:

---

(1) سورة: النازعات.

(2) سورة: النازعات، الآية رقم (18).

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤)
النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا
أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ
(١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ
قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)﴾.

في هذه الآيات الكريمة يحدثنا القرآن الكريم بالمنهج المعرفي الاعتباري عمن حارب حرية الرأي، ذاماً له، ومتوعداً أهله بالبطش الشديد والعذاب الأليم، وفي ذلك تأكيد على حق حرية الرأي الديني والاعتقاد، فقال: **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**، والإيمان موقف عقدي يصدر عن حرية الرأي والفكر، وشدة التعذيب والقتل الذي واجهه أصحاب الأخدود دليل على مدى الظلم والقهر لحرية الرأي عندهم.

والقرآن الكريم يذكر كثيراً مظالم فرعون وظلمه وطغيانه للعبرة بها، وما يقع فيها من أحداث ودروس وعبر ومنها: قول الله تعالى في سورة طه: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣)
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ
لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا
تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ
عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨)﴾.

في هذه الآيات الكريمة معان كثيرة نذكر منها بعض ما يخص حرية الرأي، فالله العليم الحكيم يأمر موسى وهارون عليهما السلام أن يأتيا أكبر طاغية في العالم، وأن يقولا له قولاً ليناً، أي إنَّ لا يكون سلاحهما إلا حرية الرأي وقول الحق الذي أرسلا به، وأن الله القوي العزيز هو من يتولى محاسبته وعقابه على إجرامه وطغيانه، أي إنَّ من ضوابط حرية الرأي، أن لا يكون إلا بالقول اللين مهما كان المقابل طاغية أو ظالماً، هذه مهمة الرسل والأحرار من أهل الرأي الحر.

ومما ذكره المنهج المعرفي الاعتباري حول ظلم فرعون قصة الرجل المؤمن، قال الله تعالى في سورة غافر: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) ﴾.

فقول الرجل المؤمن، أي الرجل الذي سمع العلم وصدق به وعمل بمقتضاه، وأولى مقتضياته الرأي الحر، فقال: ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾، كناية عن الملك السياسي، أي إنَّ الرجل المؤمن واجه برأيه الحر الدولة «الحاكمة» ناصحاً ومرشداً: أن لا تظلم ولا تطغى في الأرض، وبسبب هذا الموقف الشجاع في حرية الرأي من الرجل المؤمن سميت هذه السورة باسم المؤمن، أي إنَّ السورة أخذت اسمها من حرية الرأي الفردية التي واجه بها الرجل المؤمن أعلى قوة ظالمة في الأرض، وفي ذلك تأكيد على صواب حرية الرأي الفردية ـ الرجل المؤمن ـ إذا عاش في دولة كافرة ظالمة.

وقد بين القرآن الكريم في هذه الآيات الكريمة شرط حرية الرأي من الرجل، وهو أن يكون مؤمناً، أي إنَّ يكون الرجل عالماً بالحق ومصدقاً به، ومستعملاً له بالصورة الصحيحة، وهي استعمال المناهج المعرفية الصحيحة، مثل منهج الدعوة بالحكمة، فقد نهاهم عن المفاسد، وبالمنهج المعرفي المآلي، وهو التحذير بما يؤولون إليه بعد الموت، فإذا كانوا اليوم لهم الملك اليوم في الأرض ظاهرين، فلن يكونوا كذلك بعد موتهم، أي إنَّ لا يتجاوزا حقوقهم في الملك فلا يظلموا ولا يفسدوا في الأرض.

هذه صور قرآنية تقوم فيها حرية الرأي الفردية في مواجهة الباطل سلمياً سواء كان ضد ملوك متجبرة طاغية، أو ضد قوى اجتماعية مستكبرة مترفة، فحرية الرأي الفردية في الإسلام مقدرة ومحكمة في سور القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما هذه الأمثلة القرآنية إلا للعبرة والعظة، حتى يتعلم منها دعاة حرية الرأي من المسلمين والمؤمنين،

حتى يقول رأيه بحرية دون اعتداء على أحد ولو كانت قوى اجتماعية متكبرة مترفة أو قوى سياسية طاغية، فحرية الرأي الفردية سلامة للأفراد والمجتمعات والدول، لأنها تتوجه إليهم بالكلمة الصادقة والنصيحة النافعة والقول السديد.

والسنة النبوية المباركة أوجبت على المؤمنين حرية الرأي نحو الأمراء والخلفاء وأولي الأمر من المسلمين والمؤمنين، فقال الرسول ﷺ، كما في صحيح مسلم:

وحدثنا محمد بن عبدالله بن نمير وزهير بن حرب وأبو سعيد الأشج. وتقاربوا في اللفظ. قالوا: حدثنا وكيع. حدثنا الأعمش عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبدالرحمن، عن علي، قال:

بعث رسول الله ﷺ سرية. واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار. وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا. فأغضبوه في شيء. فقال: اجمعوا لي حطباً. فجمعوا له. ثم قال: أوقدوا ناراً. فأوقدوا. ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى. قال: فادخلوها. قال: فنظر بعضهم إلى بعض. فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار. فكانوا كذلك. وسكن غضبه. وطفئت النار. فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ. فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها. إنما الطاعة في المعروف**»[1].

قلت: إذا كان الإنكار على الطاعة في المعصية واجباً، فمن باب أولى أن ينكر على الأمير بحرية الرأي، لأنه إنكار باللسان فقط.

ـ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا عبدالله بن إدريس عن يحيى بن سعيد وعبيدالله بن عمر، عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن جده. قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة. في العسر واليسر. والمنشط والمكره. وعلى أثرة علينا. وعلى أن لا ننازع الأمر أهله. **وعلى أن نقول بالحق أينما كنا. لا نخاف في الله لومة لائم**)[2].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء من غير معصية، رقم (4743)، 6/ 431. أخرجه البخاري، كتاب المغازي، الحديث (7145). وأخرجه أبو داود، كتاب الجهاد. رقم (2625). وأخرجه النسائي، كتاب البيعة، الحديث (4216).

(2) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء من غير معصية، رقم (4745)، 6/ 431. أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، الحديث (7199). وأخرجه النسائي، كتاب البيعة، الحديث (4160).

قلت: الحديث صريح في الدلالة على وجوب حرية الرأي العلمي، وأن يكون بشجاعة وثقة، ودون خوف ولا رهبة، وهذه من ضوابط حرية الرأي في الإسلام، لأن الخوف من قول الحق يبطل الصدق فيه ويطفئ التأثير منه.

ـ وحدثني أبو غسان المسمعي ومحمد بن بشار. جميعاً عن معاذ (واللفظ لأبي غسان). حدثنا معاذ (وهو ابن هشام، الدستوائي). حدثني أبي عن قتادة. حدثنا الحسن عن ضبة بن محصن العنزي، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ؛ أنه قال (**إنه يستعمل عليكم أمراء. فتعرفون وتنكرون. فمن كره فقد برئ. ومن أنكر فقد سلم. ولكن من رضي وتابع**) قالوا: يا رسول الله! ألا نقاتلهم؟ قال (**لا. ما صلوا**) (أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه)[1].

قال النووي: وقوله: (من رضي وتابع) معناه: ولكن الإثم على من رضي وتابع. وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت، بل إنما يأثم بالرضى به، أو بأن لا يكرهه بقلبه، أو بالمتابعة عليه[2].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء من غير معصية، رقم (4778)، 6/ 446.

(2) نفس المصدر السابق.